لقد تعاقب ، في تاريخ الايديولوجية الامبريالية ، مـــن النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى أيامنا هذه ، مطلقان مسيطران (أو غالبان) تم باسمهما التوجه الى العناصر العاملة وما زالا حتى الان متأصلين وراسخين بعمق في الوعي الغربي . لقد كان هناك اولا **الحضارة الانسانية والكونية الشاملة** وكان يراد بها فرض مفهوم الانسان والمجتمع الغربي على العالم أجمع ، ثم كان هناك ، انطلاقا من سنة ١٩٤٥ ، **حـــركات التحرر الوطني** في معظم البلدان المستعمرة (بفتح الميم) التي أدت ، في خلال عشرين عاما ، الى حصول هذه البلدان على استقلالها السياسي الشكلي . ومنذ ذلك الحين صار من الصعب على المنطق الايديولوجي الغربي وصف هذه الشعوب بالبربرية والهمجية : من مثلا يجرؤ على الادعاء بأنه يمدن المصريين ؟ بات اذن من الضروري ايجاد شيء آخر يستطيع ان يضفي الشرعية على العلاقات الجديدة والممارسات الاقتصادية والسياسية التي يمارسها الاستعمار الجديد . وهنا أصبح **التعلق بالسلم** المطلق المسيطر والغالب : التعايش السلمي ، المفاوضة ، المحافظة على النظام ، اللاعنف ، السعي وراء الحلول السياسية ، ادخال العلاقات بين الاطراف الى مؤسسات الوضع القائم بهدف تغطية او تجميد عدم المساواة في القوى . وقد جاء حادث ميونيخ ليزعزع هذين المطلقين زعزعة عنيفة .

[٤] مبدأ التحويل : ان الايديولوجية المسيطرة تنتج تأثيراتها عن طريق تحويل مرمى العلاقات الاجتماعية ، من خلال مبدأ التحديد والاستجواب، من صعيد حقيقي ومحسوس الى صعيد وهمي وأخلاقي وشعوري . وتتخذ عملية النقل وتغيير المواقع هذه ، في حال التعارض ، شكل انقلاب في مواقف المتخاصمين .

وفي معظم الاحيان تعطي عملية النقل هذه انطباعا وهميا بأن عدم المساواة قد اختفت من العلاقات بين الاطراف المعنية .

لقد عرضنا سابقا باختصار كيف كانت العلاقات الحقيقيـــة المحسوسة التي فرضها التغلغل الصهيوني في فلسطين : لقد كان الهدف من هذه العلاقات اقتصاديا وسياسيا . وكان هذا الوضع السبب الاساسي لاحداث ميونيخ ولم يكن هدف الايديولوجية التي كانت تبثها الصحافة الغربية الا نقل هذه العلاقات الحقيقية الى مستويات أخرى .

فقبل كل شيء نقلت الصحافة المشكلة الاقتصادية السياسيـــة الى صعيـــد شعوري وأخلاقي . ويكفي برهانا على ذلك ان نعيد قراءة التعابير المستعملة لتحديد الاطراف المعنية : الحزن ، الغضب ، التأثر ، الخجل ، الذهول ، المجزرة ، المذبحة ، الفاجعة الخ ... ثم تقلص الحدث الى مستوى « عمل مجـــرم ودنيء » وكانت بعض عناوين الصحف تذكرنا أحيانا بعناوين الروايات البوليسية : ضرب الفدائيون عند الفجر ، قتلة الفجر ، مافيا المجرمين . أما قائد المجموعة الفلسطينية فقد شبه بآل كابوني كما تم التلميح الى ان منظمة أيلول الاسود تعمل في تهريب المخدرات . وجرت الاشارة الى تفصيل مثير وهو أن غلاف المخدرات يحتوي على صورة بالالوان لفدائي مسلح .

كما أن بعض النصوص (وكانت قليلة) أرجعت الحدث الى صعيد العنصرية المعادية للسامية فكتبت صحيفة الاورور في ٦ أيلول : « لقد سقط ايضا المزيد من ضحايا روح ميونيخ . ان العالم يريد ان يعرف ما اذا كان الرهائن التسع قد قتلوا في ميونيخ اللعينة لمجرد أنهم من اليهود » . وكتب ريمون كارتييه في باري ماتش : « لقد وقعت فاجعـــة يهودية جديدة في المانيا ، على بعد بضعة كيلومترات من مكان داخاو المخزي » . وبما ان الحدث وقع في المانيا فان الايديولوجية لم تكن لتترك الفرصة تفوتها دون التذكير بلاسامية النازيين .

واخيرا فان بعض النصوص اشارت الى علاقات المنظمات الفلسطينية بمنظمات أقصى